الفصل الاول

الخبر بين القديم والحديث

نقل الخبر بالسفن ـ السابق بالخيل من اجل الخبر ـ اختراع التلغراف ـ ظهور وكالات الانباء ـ التنافس فى استقاء الانباء •

الخبر بين القديم والحديث

تطور الخبر بين القديم والحديث تطورا كبيرا ملحوظا ، وتناول هذا التطور ماهية الخبر وفنونه وطرق جمعه وأساليب تحريره ونشره · ففى العصور القديمة كان ناقل الخبر هو الراوى أو الرسول أو المنادى أو المنشد أو الشاعر اذ لم يظهر فى ذلك الحين المخبر المتخصص ، وكانت وسائل نقل الاخبار بذلك بطيئة بدائية وظلت هكذا الوسائل الصوتية تحتل مركز الصدارة فى جمع الاخبار الى أن ظهرت المطبعة التى ظهر باختراعهـــا الخبر المطبوع ·

لم تكن رحلة الخبر من مصادره الى مستقبليه سهله يسيره ، بل كانت هذه الرحلة الشاقة تتم على ظهور الخيل ، أو بواسطة السفن ، أو الحمام الزاجل ، وكانت هـذه الرحلة البطيئة الطويلة العسيرة تستقبلها الجماهير بحماس وشوق ولطالما كان التعطش للابناء يتمثـــل فى تلهف الجماهير على استقبال السفن ، التى تحمل مع شحنات البضائع شحنات الابناء ·

وعلى هذه الصورة المبتكرة والبدائية فى نفس الوقت تداول القدماء الأبناء ، ولطالما كانت الزوارق تتنافس لتقابل السفن القادمة الى الشواطىء كى تحقق ألوانا من السبق الصحفى ، باذاعة الأنباء قبل أن ترسو السفن ويحصل عليها المهتمون بجمع الأنباء · وتعددت مناورات ملاحى الزوارق من أجل السبق الاخبارى ، من ذلك استخدامهم السفن الشراعية بدلا من سفن المجداف ، أو استقبال الزوارق بالخيول السريعة التى تعدو حاملة حصيلتها من الأنباء الى موزعيها ·

وهكذا ظلت طرق جمع الاخبار وتداولها فى العصور القديمة بطيئة وبدائية ، وظل المنشد للقصص أو الشاعر الذى يطوف بالقصور أو المنادى الذى يعلن الأحكام والقرارات أو الملاح الذى يقود السفن، هو القائم بالمهمة الاخبارية ، التى يقوم بها المخبر المتخصص اليوم ، أى حامل الخبر وناقله·

وطويت صفحة قديمة فى رحلة الخبر وبدأت صفحة جديدة متطورة حين اخترع ف·ب· موريس التلغراف ، اذ ارسل صمويل موريس فى ٢٥ مايو سنة ١٨٤٤ أول رسالة تلغرافية ، وقد ساعد هذا الاختراع على تطور

تبادل الخبر وظهور نظام جديد لتداوله ، ولقد كان هذا الاختراع حدثا هاما فى رحلة الخبر ، اذ تحول السباق بالخيل أو الزوراق للوصول الى السفن الى سباق بالسيارات والقاطرات للوصول الى محطات التلغراف ،أى مراكز الخدمات الاخباريه ، وحين امتدت الاسلاك عبر السهول والجبال فى منتصف القرن التاسع عشر ، طويت صفحة قديمة فى رحلة الخبر ، وبدأت صفحة جديدة متطورة ٠

على أن هذه الخدمات التلغرافية فى صورها الاولى لم تكن على قدر من الفاعلية والكفاءه ، فهذه الوصلات الخبرية كانت شديدة الاضطراب، وحين كانت العواصف تعصف أو الرياح تهب ، كانت الاسلاك المرتبطة بالاعمدة أو الجذوع تهتز وتتقطع ، فتتعطل هذه الخدمات التلغرافية ، الى أن يقوم عمال الصيانة باصلاح ما فسد من هذه الشبكات ٠ ورغم ان هذه الخدمات البرقية كانت تنقل الخبر لحظة حدوثه ، أى على الفور ، الا أنه لم يكن من الممكن مد الاسلاك عبر الانهار ، وكان من الضرورى اذن تدبير أمر نقل هذه الرسائل الاخبارية المستقبلة عبر الانهار ، اما عن طريق الزوارق ، أو القوارب ٠ ومن الشاطىء كان الخبر يستأنف رحلته الشاقة الى مستقبلى الأنباء ، وقد لاتغطى الشبكات التلغرافية بعض المواقع ، فكان على البواخر أن تتحرك الى ارض الاحداث كى تلقى بمراسيها حيث توجد هذه الساريات التلغرافية ، سواء كانت المشكلة استقبال نبأ أو استفاءه من مصادره ٠

على أن هذه الرحلات الخبرية على اختلاف وسائلها كانت باهظة التكاليف ، وهذا ما دفع العاملين فى ميدان جمع الأنباء الى التفكير فى تنظيم هذه الخدمات الاخبارية بأسلوب تعاونى ، أى بتقاسم نفقات الحصول على الاخبار ، ولعل هذه الخدمات التعاونية كانت هى الفكرة الاساسية فى نشوء وكالات الأنباء ، اذ ظهرت هذه المؤسسات الاخبارية الى الوجود لتنظيم تبادل الانباء ، أى تقديم خدمات اخبارية تلغرافية مشتركة ، وبأسلوب تعاونى تتقاسم خلاله النفقات ٠

ومن الطبيعى أن يعانى جامع الأنباء أو المخبر فى القديم من هذه الأمور التى ذكرناها ، اذ طالما كانت الوصلات التلغرافية تتقطع فتتعطل خدماتها فى أحرج الأوقات ، كما أن ندرة الخطوط وقلتها كانت تمكن منافسيه من التحكم فى سير هذه الخدمات الاخبارية ، بشغل الوصلات التلغرافية لمنع استخدامها من جانب سواه ٠

وبدورة الأيام بين القديم والحديث ، تقدمت هذه الخدمات التلغرافية وارتفع مستواها ، واتخذ تحسين هذه الخدمات صورا شتى ، فاختفى عامل التلغراف اليدوى ، وانتشرت الآلات الكاتبة السريعة ، وظهرت اللغة الاختزالية التلغرافية ، وحل التلغراف الكاتب السريع محل عمال التلغراف القدامى ، كما ظهرت وسائل فائقة الطاقات والسرعة فى ميدان جمع الأنباء البرقية والصور الاخبارية ٠

وهكذا كان لظهور الخبر المطبوع وتطوره أثر فى ظهور الحاجة الملحة الى وسيلة فعالة لجمع الأنباء وتوزيعها ، حيث تطلع قراء الصحف الى خدمات اخبارية فعالة واسعة المدى ، أى تغطى رقعة واسعة ، وتقدم الانباء بصورة متكاملة ، وكان أكثر ما تميزت به هذه الخدمات هو استيفاؤها لعنصر الزمن ، أى السرعة فى نقل الانباء تداولها ٠

لقد ظهرت وكالات الأنباء فى الثلث الثانى من القرن التاسع عشر لتلبية هذه الحاجة الملحة فى نقل الأخبار وتداولها بسرعة وكفاية على نطاق واسع ، وكان ظهور هذه الوكالات نقطة تحول فى رحلة الخبر ، اذ عملت هذه الوكالات على تيسير تداول الأنباء عبر القارات ، وقد تمكنت بواسطة شبكة مراسليها ومكاتبها المنتشرة حول العالم ، من تحقيق خدمات اخبارية ضخمة ذات مستوى ٠

على أن هذه الوكالات ذاتها قد تطورت فى خدماتها وامكانياتها ، فانتهى عهد القرصنة الاخبارية التى كانت تتم بين الوكالات المتنافسة ٠ والتزمت كل وكالة بأصول المهنة وتقاليدها ، وقد عملت كل منها على تحسين خدماتها وتوسيع نطاق أخبارها أى السير بصناعة جمع الاخبار وتداولها الى الأمام ٠ وحين تعددت وكالات الأنباء سعت كل وكالة أن تنال ثقة عملائها بتوسيع مدار خدماتها ، كما عملت كل منها الى تدعيم شبكاتها الاخبارية بمكاتب فرعية منتشرة حول العالم ومرتبطة بمكاتبها المركزية، بوصلات برقية٠ واجتهدت كل وكالة بعد ذلك فى استقدام أحدث العدد والآلات سعيا وراء رفع مستوى الأداء وتحقيق السبق الاخبارى ٠ وبمرور الزمن زاد نفوذ هذه الوكالات العالمية ، وشكلت قوى ضاغطة فى الميدان السياسى والاقتصادى، الأمر الذى دفع الدول النامية الى الاتجاه الى انشاء وكالات أنباء وطنية ادراكا منها للدور الخطير الذى تقوم به هذه الوكالات العالمية ، وشعورا منها بالحاجة الماسة الى حماية صناعة الخبر من أخطا رالتزييف والاختلاق٠

على أن رحلة الخبر لا تنتهى بانتهاء جمعه وارساله الى الصحف ، بل نراه يبدأ بعد ذلك رحلة أخرى ، حين تعمل الصحف على استقصاءصحة الخبر ، أو حين يسارع مخبروها الى أرض الأحداث لاستكمال جوانبه . واذا كانت الرحلة التى مر ذكرها تنتهى بتسليم الانباء الى الصحف ، فان هذه الرحلة الأخيرة جارية ، أى تحوى عنصر الدوام والاستمرار . فالخبر القصير قد يتحول على طول المدى ، أى بالتحرى الى خبر طويل هام ، كما أن استكمال جوانب الخبر يقتضى أن يكون العمل جاريا على قدم وساق لاضافة كل جديد الى الخبر القديم المتداول . واذن فالجرى وراء الأنباء حلقة دائرية لا نهاية لها ، ولكل سعى جزاء ، أى كلما بحثنا وراء الخبر ، وجدنا فيه الجديد الجدير بالرواية .